

## صفحة من تاريخ البصرة والمنتفق

من رحلة للمسّر توماس هوويل البريطاني (١)

خلال سنة ١٧٨٧-١٧٨٨ م

Une Page de L'Histoire de Basrah.

التاريخ نفع لا يجهله الكثيرون ولذا إن لهم ميل الى الوقوف على اخبار من ملف . واهم غايات التاريخ الانتفاع من التجارب التي سجلتها الأيام المطوية على صفحاتها الخالدة . ويقضي الواجب على المؤرخ ان ينتقي اصدق الروايات مما دونه كسبة الوقائع مميزا منها الفث من السمين . ولا مشاحة في ان هؤلاء المدونين يختلفون في ادواقهم ومشاربهم وآرائهم فمنهم من يسيطر على قلمه فيدلي عليه ماتهوا لانفسه غير مكترث للحق ومنهم من يكتب ما يوحيه اليه ضميرة وهو على غير هدى ومنهم من لا يسطر شيئا الا قد تروى مليا في الامر وتبصر فيه وسير غورا فيتوخى الواقع غير هيب ولا وجل .

ان مصادر تاريخ العراق للقرن الثامن عشر قليلة فرأيت ان اضيف اليها تعريب صفحة جاءت تبثنا عن حالة البصرة في احدى سني الربع الاخير من ذلك القرن الغابر حينما استولى عليها تويني العبدالله المعروف بـ « ابي قريحة » (٢) ( بالتصغير والتأنيث ) تاركا للمؤرخ النصف ان يتحرى اصلق المآخذ مؤيدا رأي هذا ومزيفا فكر ذاك وهو ما يطالبه التاريخ الحق .

وقبل ان اقدم على التعريب لا بد لي من ابداء كلمات وجيزة للتعريف بزعم المنتفق الشيخ تويني العبدالله المجدد المانع . ومحمد هذا هو ابو سعدون الذي تعرف به اليوم الجمول والسعدونية الشهيرة التي كان اباؤها سعدون بـ « آل شيب » قبل عصر

( ١ ) Voyage en retour de l'Inde par terre... par Thomas Buwelle M.D. traduit de l'Anglais par Théophile Mandras, Paris au V (1727) P. 23-24.

( ٢ ) هي ابنته واسمها قريحة نصف بر قرحة . وفي المنتفق في الفراف ارض اسمها « الاقح » واخرى لسما تل قرحة ( تل قرحة ) ولا بد ان اسم « قريحة » مأخوذ من المعنى الصحيح ويظهر انهم ارادوا بقرحاً بفضاء او ما ضاهى هذا المعنى . الكاتب

سعدون ونبوغه . وما شيب إلا احد الجنود الاعلى ذوي الشرف الباذخ والسؤدد العزيز . فتوطني اذن هو من آل شيب وهو ابن اخي سعدون . وقد ابتدأت زعماء للمرة الاولى سنة ١١٩٣ هـ ( ١٧٧٩ م ) على اثر قتل الخزاعل ( خزاعة ) ثامر ابن عمه سعدون (١) . وليست تسمية آل شيب بغريبة عنا بل هي معروفة في عهدنا هذا ايضا وهي تطلق على اقرباء آل سعدون الذين يمتون اليهم بشيب . وبعد هذا التمديد اعود الى صاحب الرحلة وهو من موظفي شركة الهند الشرقية وكان في البصرة في شباط سنة ١٧٨٨ م ( ١٢٠٣ هـ ) أي بعد الواقعة ببضعة اشهر فقط . وقد قال ماتريريه :

« لم تبق تجارة البصرة زاهية كما كانت عليه قبلا لكنها لا تزال المخزن التجاري الاهم في هذه الاصقاع فيشرى التاجر فيها واما حاكمها فهو تركي (٢) وسكانها عرب وقد توطنها امر تركية وارمنية .

« وكان الشيخ ثويني - الشيخ العربي القدير - قد استولى على هذه الحاضرة في سنة ١٧٨٧ م ( ١٢٠٢ هـ ) بتدابير الصابئة ففاجأ حاميتها واحتل المدينة بدون مقاومة . والامر الذي يجب توجيه النظر اليه انه لم يصب اذ ذاك احد من سكانها بلهانة ولم يتجاوز احد على مال لاحدهم . ولم يطلب الشيخ من سكانها غراما تحريرية . وبعد ان استولت جيوش الشيخ بنصف ساعة عادت شؤون الناس تجري بانتظام لا شبهة ما يخل به فكأنهم لم يقع هناك حادث يفوق العادة (٣) .

(١) كتاب دوحه الوزراء بالتركية وهو في تاريخ المرقى ومؤلفه رسول افندي حاوي ابن للا يعقوب الباهوني الاصل وتجد ترجمته في جريدة «المرب» العددية في عددها الـ ٢٨ المؤرخ في ٣ ايلول سنة ١٩١٧ وكانت وفاته سنة ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٦ م )

(٢) كان مقسما ابراهيم افندي ( دوحه الوزراء في وقائع سنة ١٢٠١ هـ ( ١٧٨٦ م ) وفي مختصر مطالع السمود بطيب اخبار الوالي داود : ابراهيم بك . الاصل لابن سند منه نسخة مخطوطة في خزانة كتب جامع مرجان ، والمختصر لامين بن حسن الحلواني طبع في بومبي سنة ١٣٠٤ هـ

٣١ جاء ذكر الواقعة في دوحه الوزراء وجاء في رساله تجاربه برسالة من البصرة معاصرة لحد الحوادث ان ثويني استولى على البصرة في ايار سنة ١٧٨٧ م ( ١٢٠٢ هـ ) ثم قدم والي بغداد فلسترجمها منه في آب من تلك السنة .

« ان الشعوب المعننة في المدينة والعلم لتتبط هذا الحالة الداعية الى الشرف وهي ترنا انه مع ما عليه الاعراب من ميلهم الى السلب والنهب فان لهم انظمة ووساير تبعث بهم الى حب السلام. رائدتها الطاعة القسوى لرئيسهم وهو روح النظام العسكري .

« اما الشيخ فهو كهل شجاع باسل ذو اقدام على العمل قل من يفوقه وهو عزيز لدى وطنيه لحسن تبصره في الامور وتوقده ذهنه وجنوحه الى جانب الحق ولاعتداله الذي يتمشى عليه في شؤون امارته ولقد جعلت هذه الصفات محترما عند الناس كافة .

« دام حكم الشيخ في البصرة ثلاثة اشهر ثم علم ان باشا بغداد (١) وهو متبوع الشيخ في تأدية الضريبة - كان قد قدم بحاربه بجيش قوامه ستة آلاف جندي فجمع الشيخ قواها واتجه بها الى شواطئ الفرات ليقابل عدوا فالتقى الجيشان هناك على بعد من البصرة واشتبك القتال واستمر بين الفريقين ولم تنجل النتيجة الحاسمة باوى. بل باتت اخيرا بجانب الاتراك وانفل العرب ففر الشيخ البائس يتبعه بعض ذويه وقد نجوا من ملحمة النهار . ثم خطب الشيخ ود الباشا مستميلا اياه وطلب اليه المعنزة عما صدر منه ولكن الباشا رفض طلبه واقام مقامه « شيخا » غير (٢)

« اجل. ازال حكم ثويني من البصرة ولكنه بقي يرأس عشيرة كبيرة تبذل نفسها لخدمته خدمة تصوحا لحبها اياه وشفقها به ولا يبعد ان يصبح عدو الباشا الازرق ان لم يعد الباشا الى منصبه « اه

مر الرحلة بالمرآق قافلا من الهند ووجهته لندن فوصل اليها والقي عصا الترحال فيها ثم نشر رحلته وطلبها كمنته الاخيرة عن الشيخ ثويني ثم جاءت الوقائع مصداقا لما ارتآه اذ اضطر والي بغداد سليمان باشا وهو في اخرج المواقف الى اعادة الشيخ ثويني الى منصبه للمرة الثالثة ليستعين به على بحاربه الوهابي فترجع الشيخ على مسند (٣) الحكم ورحل الى انحاء نجد للايقاع بالعدو لكن عبدا اسمه طعيس (٤)

(١) سليمان باشا ( دوحه الوزراء ) وتاريخ جودت ٤ : ١٠٦

(٢) هو حمد الناصر السعدون ( دوحه الوزراء ) (٣) وصفته في هذه المجلة ٢ : ٥٠٧

(٤) الطعس التل من الرمل ولماها تصحيف الدعص الفصيحة .

(بالتصغير) وهو من عبيد جبور بني خالد، اغتاله هناك في موضع اسمه الشباك (١) (وهو ماء في ديرة بني خالد) في اليوم الرابع من المحرم سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م). وقتل القتال في ساعته وهو ينتمي الى الوهايين. وقد جرت قصيته مذ ذاك المثل لا يضرب به عند المتفق فيقولون: «باع بيعة طميس» يريدون بها انه صمم على الامر ولا يرجع عنه ولو يعقبه الموت الزؤام. ويقال ان قبر ثويني معروف في تلك الانحاء.

وهنا اختتم حاشيتي التي جاءت كذليل لما اردت تعريبه من ذكر عهدياعد وبقي تاريخه في تضاعيف الكتب والاسفار.

يعقوب نعوم سر كيس

### معرفة يوم الشهر القمري

من يوم الشهر الشمسي

Comment reconnaître le quantième d'un jour lunaire

إذا اردت ان تعرف يوم الشهر القمري الذي انت فيه من يوم الشهر الشمسي الذي انت فيه، احسب عدد الشهور منذ آذار الى الشهر الشمسي الذي انت فيه ثمزد على ذلك عدد ايام الشهر الشمسي الذي انت فيه. واطرح من هذا المجموع ١٤ يخرج عنك يوم القمر في الشهر الشمسي الذي انت فيه على ما ينهب اليه الفلكيون والأطرح ١٦ يكن عنك اليوم القمري على ما يرى هلاله رؤية العين.

مثال ذلك تريد ان تعرف يوم الشهر القمري وانت في ١٧ كانون الاول فعدد الأشهر من آذار الى كانون الاول هو ١٠ تضيف اليه ١٧ وهو اليوم الذي انت فيه من كانون الاول فيكون المجموع ٢٧ ثم اطرح من هذا الرقم ١٤ فيخرج ١٣ وهو يوم الشهر القمري عند الفلكيين والأطرح ١٦ فيخرج ١١ وهو يوم الشهر بالنظر الى اول يوم من رؤيته هلاله.

(١) عنوان الجهد في تاريخ نجد ١: ٧٥ ودوحة الوزراء ومختصر مطالع السمود ونسبي بعضهم الشباك) كانها جمع الشبكة) وبلغطونها بالسكان الشين وباء مبهمة الحركة وكان ينطق بها كالجيم الفارسية الثلثة وفي الاخرها. وذكر معجم البلدان لياقوت عدة مياه بهذا الاسم ونسبها. والشبكة الابار المتقاربة. (الكتاب وجميع الحواشي السابقة له).